مجلة مجتمع تربية عمل

ISSN: 2507-749X EISSN: 2602-7755

https://www.asjp.cerist.dz/revues/414

المجلد:08/ العدد01(2023) ص ص 348/336

مشكلة التربية الحضارية في المجتمع المسلم المعاصر

–دراسة تحليلية–

The problem of civilized education in contemporary - Muslim society -An analytical study

واكد رابح

مخبر علوم التربية للتوجيه والإرشاد، جامعة المدية (الجزائر)

ouakedrabeh@yahoo.fr

معلومات المقال

تاريخ الارسال:2022/07/11

تاريخ القبول:2023/03/01

الكلمات المفتاحية:

- ✓ التربية الحضارية
- ✓ المجتمع المسلم المعاصر

ملخص:

تهدف الدراسة إلى التعريف بالتربية الحضارية التي تنمي الحس الحضاري في ذهن الفرد المسلم ومغالبة التخلف الذي يهيمن على الحياة الإسلامية المعاصرة، وتبرز علاقتها مع الإخفاق الحضاري ودور مخابر الاستعمار العالمي في تعقب مناهج التربية الإسلامية والتدخل في مضامينها لإجبار الناشئة على تقبل نمطية الثقافة الغربية في إدارة الصراع العالمي، كما بينت الدراسة وقوع التربية الحضارية بين تأثير الداخل والخارج في التغيير ومحاولة كل منهما تصويب رؤيته التغييرية في الواقع المعاصر.

Article info

Received :11/07/2022

Accepted :01/03/2023

Keywords:

- ✓ Civilizational education
- ✓ Contemporary Muslim Society

Abstract:

The study aims to introduce the civilizational education to develop the sense of civilization in the mind of the Muslim individual and to overcome the backwardness that dominates contemporary Islamic life. The study showed the implementation of civilized education between the influence of the local and the foreign and the attempt of each of them to orient the vision of change in contemporary time.

❖ **مقدمة:** يرى جودت (1984) أن المجتمع المسلم المعاصر يعيش أزمة تخلف مريعة في مجالات الحياة المختلفة بسبب التخلي عن الأخذ بشروط التحضر المناسبة وتمثل أسباب النهوض التي تنطلق من التربية وتقوم على التعلم وتحصيل المعارف المختلفة ذات الصلة بالتنمية والاستثمار في الإنسان الذي ينتج الحضارة ويتفاعل مع معطيات التكنولوجيا المتسارعة في النمو "فالمشكلة هي مشكلة فرد يعيش في مجتمع، لا مشكلة دين، وهي مشكلة عامة في جميع البلاد الإسلامية فلكي تبدأ عجلة التغيير في الدوران لا بد من معرفة سنن التغيير لما بالأنفس، وكذلك معرفة ما ينبغي أن نغيره بالإضافة إلى معرفة الأشخاص الذين يجب محاولة تغييرهم باختلاف شخصياتهم وبيئاتهم لأنهم يشتركون في أصل البلاء" ويكون ذلك عبر تربية حضارية طويلة تنمي سلوك التحضر باستمرار لدى الفرد.

والحضارة يجب أن تشمل وفق بن نبي (1990) مقومين أساسين أولهما: التعليم بشرط أن يكون مبنيا على أساس الحاجات، وليس المفروض في قوالب غير قابلة للتطبيق وتؤدي إلى تعجيز الذات والعقل بدل من استنهاضهما، والقضية الثانية مرتبطة بالتشريعات الأخلاقية اللازمة لاستمرار الذات الإنسانية واحترامها ، فالتعليم يمكِّن حسب ما أشار إليه بن نبي(2000) من تحصيل الخبرة الحضارية في الإنتاج الصناعي والفلاحي والتكنولوجي ويربط المؤسسة التعليمية بسوق الشغل وينفتح على احتياجات التنمية المختلفة، وينجز التشريع الأخلاقي ثقافة العناية بالإنسان وتهيئة المناخ للتفكير والإبداع والفعالية. " والفعالية على المستوى الاجتماعي تعني القدرة على توليد ديناميكا اجتماعية وذلك بالدخول في تخطيط منهجي لا يحتوي خليطاً من الأفكار المتناقضة حتى أن التقدم أو التأخر الحضاري يمكن أن يلاحظه الإنسان من خلال ملاحظة عامل الفعالية أي أنه بوسعنا " أن ندرس حضارة ما، بملاحظة الطريقة التي يتبعها الإنسان ليتفاعل مع بيئته، ليست المشكلة أن نعلِّم المسلم عقيدة هو يملكها وإنما المهم أن نرد إلى هذه العقيدة فاعليتها، وقوتها الإيجابية، وتأثيرها الاجتماعي، فصناعة حضارة بقدر ما تحتاج إلى أفكار سليمة، فإنها تحتاج إلى فعالية في إنجازها.

❖ **الإشكالية:** أشار أبو شوك (2010) أنه بعد سقوط الخلافة الإسلامية العثمانية التي أحدثت هزة سياسية وفكرية كبيرة في حواضر العالم الاسلامي". وأوضح القوسي (2008) بدوره أنه ازداد عمق التخلف الذي أحاط بالمجتمع المسلم واتسعت الهوة بينه وبين متطلبات

التحضر، وانتقل بذلك الفرد إلى التعاطي مع الواقع الجديد الذي يتحكم فيه الاستعمار بعيدًا عن إرادته ويلزمه بتنفيذ المخطط الواسع في تحوير الهوية، وإثبات التبعية الدائمة له على امتداد الرقعة الإسلامية " من إيريان الغربية في أندونيسيا إلى جزر الرأس الأخضر مقابل السنغال في المحيط الأطلسي غربًا ومن جبال الأورالو سيبريا شمالًا إلى موزنبيق جنوبًا " .

وأضاف حسان (2007) أنه برغم القابلية النفسية للاستعمار والتغلغل العميق له ونفاذ التربية الإستعمارية تحرّكت الذات المسلمة وصارعت الكائن المحتل بكل الوسائل – التربوية الفكرية، السياسية، العسكرية، حتى أخرجته من الأرض خلال القرن الماضي، وقد أدرك الإستعمار أن ثمار سياساته التربوية والثقافية يمكن جنيها بعد الإستقلال.

يعتبر بن نبي (1990) أنه حتى الربع الأول من هذا القرن "كان دورها في ذلك دورا بطوليًا فقط ومن طبيعة هذا الدور إنه لا يلتفت إلى حلّ المشاكل التي مهّدت للإستعمار وتغلغله داخل البلاد".

وحصل بذلك استنادا لعلي (1425) الاستقلال واستعاد الشعب حريته المسلوبة وشرع المجتمع في البناء الجديد كمطلب حضاري يدفع الإنسان المسلم على طول الرقعة الجغرافية الإسلامية– طنجة جاكرتا – بعد تحقيق الاستقلال إلى تحقيق التنمية الحضارية المطلوبة التي ارتبط بها شعوره في التاريخ الإسلامي إذ هو الآن يمثل موقع ما بعد الحضارة، بعد أن كان سلفه يجسد موقع الحضارة إلى جانب الموقع الآخر الممتد من أمريكا إلى أوربا الذي يمارس الدور الحضاري غير المنسجم مع الدور الحضاري في نظر المسلم، هذا " عدا المؤشرات المتعددة التي تشير إلى أن المواجهة التي قامت بين الاشتراكية والرأسمالية قد تحوّلت إلى شكل آخر من أشكال الصراع، بحيث يكون صراعًا بين النموذج الحضاري الغربي والنموذج الإسلامي" .

أشار بن نبي (1990) أن مشكل البناء التربوي الجديد ذو المطلبية الحضارية، هو بالذات مشكل حضاري بالنسبة للمجتمع المسلم، ولا يمكن " للشعب أن يفهم ويحل مشكلته ما لم يرتفع إلى الأحداث الإنسانية وما لم يتعمق في فهم العوامل التي تبني الحضارات أو تهدمها " انطلاقا من التربية الإسلامية الأصيلة بدل التربية الاستعمارية الموروثة.

أوضح وطفة (2001) بدورها أن استيعاب الأحداث الإنسانية خصوصًا المعاصرة يكشف عن الآليات الصحيحة في العملية الحضارية التي تتماشى ومنطق العصر من جهة، ونموذج

التفاعل مع قضاياها وفلسفتها من جهة أخرى وإدراك العوامل يؤسّس لطريق النهضة الصحيحة القائمة على التربية الإسلامية الصحيحة "وإذا كانت الحلول السياسية لقضايا المجتمع تأتي من بوابات الثورات الخاطفة في التاريخ من أجل التغيير الاجتماعي، فإن الحلول التربوية بمثابة الثورة الصامتة التي تتغلغل في صلب الوجود الاجتماعي وتأخذ مجراها في أعماق الوعي، لتتحول إلى قوة تاريخية تمكّن المجتمع من الانطلاق نحو غاياته الحضارية السامية ".

بيد أن البناء الجديد (لاسيما المتعلق بعملية التربية) ارتبط من جديد حسب بن نبي (1990) بمنظومات فكرية استعمارية جاهزة كالإشتراكية الروسية التي مثّلت يومئذ استراتيجية تنموية لا بديل عنها، وإيديولوجية وحيدة في تجاوز رواسب الماضي وتحقيق عناصر التنمية في نظر العصب الحاكمة وقتئذ، واستبعد وهمّش الرأي الذي يرى "أن تكوين الحضارة كظاهرة اجتماعية إن ما يكون في الظروف والشروط نفسها التي ولدت فيها الحضارة الأولى – والتي تقوم على تربية الفرد أولاً – كان هذا صادرًا عن عقيدة قويّة ولسان يستمد من سحر القرآن الكريم تأثيره ليذكّر النّاس بحضارة الإسلام في عصورها لزاهية .

ما هي التربية الحضارية؟ وما علاقتها بالإخفاق الحضاري في مجتمعنا ودور مخابر الاستعمار العالمي في ترسيخ ذلك؟ وكيف يؤثر الداخل والخارج على سيرورتها؟

وتهدف الدراسة إلى التعرف على نموذج التحضر الإسلامي الأول الذي نتج بسبب مخرجات التربية الإسلامية التي بذلتها طبقة الحضارة الإسلامية الأولى من الصحابة رضوان الله تعالى عليهم كحالة تأسيسية وتكوينية للنموذج تليها الطبقات الأخرى (التابعون، وتابعيهم بإحسان) في مرحلة الانتشار والتوسع. وإثبات أن سلوك التحضر تربية بالدرجة الأولى لا يتأتى بتعليمات قانونية أو باستيراد نماذج تحضرية جاهزة من المجتمعات المتقدمة، بل يتأسس بإرادة داخلية عميقة تبدأ بالتربية الإسلامية وتمتد إلى الميادين الحضارية الأخرى (الصناعية والفلاحية والتكنولوجية ..).وكذا إعادة تأسيس نموذج التحضر في المجتمع المسلم المعاصر لا يكون إلا في الشروط نفسها التي انطلق منها نموذج التحضر الأول بعيداً عن النماذج التحضرية المستوردة من قبل الأنظمة السياسية المختلفة (الاشتراكية، الرأسمالية، الليبرالية ..). واخيرا، إيضاح أن مشكلات الاستبداد والفساد والأحادية في تسيير شأن المجتمع المسلم المعاصر لا

يمكن حلها إلا بتربية إسلامية عميقة وطويلة تتولاها مختلف مؤسسات التنشئة الاجتماعية المعاصرة.

أما أهمية الدراسة فتبرز من خلال دراسة دور التربية في تحضر المجتمع ومدافعة التخلف الذي يعيشه المجتمع المعاصر على مراحل وخطوات متدرجة لا تستجيب للعشوائية والتلقائية أو تتجاوز السنن في التغيير الاجتماعي المطلوب. وكذا إبراز دور التربية الإسلامية في تحقيق الإنجاز الحضاري المتمثل في الحضارة الإسلامية السابقة التي أسست على قواعدها، فشروط التحضر المعاصرة ينبغي أن تنطلق من الشروط ذاتها التي انطلق منها التحضر الإسلامي الأول. وإثراء البحوث التربوية التي تتناول بحث علاقة التربية الإسلامية بالتحضر، وتثير الاهتمام المعرفي إلى ضرورة توفر الخلفية التربوية في تكوين الحضارة الإسلامية الجديدة البديلة. وكذلك إغناء الجانب النظري والفلسفي في مرحلة أولى، ثم فحص الخصائص الحضارية عمليا من خلال بناء استبيانات ومقاييس واختبارات تختبر استعداد التحضر لدى الفرد المسلم المعاصر.

❖ المفاهيم الأساسية للدراسة:

- ✓ **مفهوم التربية الحضارية** : لغة : التربية : تقول العرب " لأن يربيني رجل من قريش أحب إلي من أن يربيني رجل من هوازن، قال الأنباري : الرب ينقسم على ثلاثة أقسام : يكون الرب المالك، ويكون الرب السيد المطاع، قال تعالى ﴿ فَيَسْقِ يرَبَّهُ خَمْرًا ﴾ (يوسف : 41) وفي حديث ابن عباس مع ابن الزبير –رضي الله عنهم –لأن يربيني بنو عمي أحب إلي من أن يربيني غيرهم : أي يكونون أمراء وسادة ومتقدمين، يعني بني أمية، ورباه تربية على تحويل التضعيف، وترباه على تحويل التضعيف أيضاً، وترباه على تحويل التضعيف أيضا، أحسن القيام عليه ووليه حتى يفارق الطفولية كان ابنه أو لم يكن" (أورد في: ابن منظور، 1996) .
- ✓ **الحضارة لغة** : يقال " حضر القاضي امرأة تحضر، قال : وإنما أندرت التاء لوقوع القاضي بين الفعل والمرأة قال الأزهري واللغة الجيدة حضر تتحضر، وكلهم يقول تحضر، بالضم، والحاضر خلاف البادي، وفي الحديث : لا يبع حاضر لباد، الحاضر : المقيم في المدن والقرى، والبادي المقيم بالبادية، ويقال فلان من أهل

الحاضرة وفلان من أهل البادية، والحضارة : الإقامة في الحضر (أورد في: ابن منظور، 1996) .

- ✓ **الحضارة اصطلاحاً** : يرى ابن خلدون " أن الحضارة تفنن في الترف وإحكام الصنائع المستعملة في وجوهه ومذاهبه من المطابخ والملابس والمباني والفرش والأبنية وسائر عوائد المنزل وأحواله، فلكل واحد منها صنائع في استجادته والتأنق فيه تختص به ويتلو بعضها بعضاً وتتكثر باختلاف ما تنزع إليه النفوس من الشهوات والملاذ والتنعم بأحوال الترف وما تتلون به من العوائد فصار طور الحضارة في الملك يتب عطور البداوة ضرورة لضرورة تبعية الرفه للملك، واهل الدول ابدا يقلدون في طور الحضارة وأحوالها للدولة السابقة قبلهم " (أورد في: ابن خلدون، 2000).
- ✓ **التربية الحضارية اصطلاحا:** نعني بالتربية الحضارية وفق حسان (2016) جملة الجهود الفكرية والعملية التي تبذل في ميدان بناء الإنسان لتوفير الشروط الزمنية والنفسية للبناء الحضاري، من خلال إعدادا الفرد المسلم وتهيئته لهذه الحالة، ففعل النهضة هو " ما يبذل من جهد في الميدان النفسي " متجاوزاً معوقات هذه النهضة، ومتوافقاً مع مقوماته المعرفية (الأصيلة) ومرجعيته الحضارية مراعيًا السنن الكونية في التغيير والتطور، وهذا لني تأتى إلا " بتكوين الفرد الحامل لرسالته في التاريخ " فالتربية الحضارية هي ذلك المكون الذي يجمع بين المرجعية الذاتية (الأصالة) وبين الانفتاح (المعاصرة) على التطورات الحديثة التي أنتجها العقل في حضارات أخرى، فلا مجال لتربية حضارية تنغلق عن واقعها المعيش، ولا معنى لتربية حضارية تنسلخ من ذاتيتها ومرجعيتها الأساسية الأصيلة .

مصطلح التربية الحضارية في الإسلام حسب الأهدل (2007) يقترب كثيراً من مصطلح التربية الإسلامية، لأن التربية الحضارية في الإسلام هي جزء من التربية الإسلامية، تمثل جميع جوانب الحياة للفرد المسلم، وللمجتمع المسلم وللأمة المسلمة، ولا شك أن بينهما عموماً وخصوصاً سواء في الأسس أو الخصائص أو الأهداف، يعرفها مقداد يالجن بأنها "تنمية الجيل وإعدادهم، وتنمية قدراتهم، واستعدادهم وتشكيلهم حضاريًا، وفقاً لمفهوم الحضارة الإسلامية، أو هي إعداد المسلم إعداداً حضارياً في ضوء التفكير الحضاري في الإسلام " ويعرفها في موضع آخر بأنها " بناء الأجيال

المسلمة القادرة على تحقيق التفوق في مجالات الحياة المادية والمعنوية في ضوء الإسلام " .

فالتربية الحضارية تربي الأجيال على التفكير في التحضر والتقدم ومنافسة المجتمعات المتطورة في الشرق أو الغرب والمشاركة في جهود التحضر المختلفة (النفسية والفكرية والثقافية والسياسية والاجتماعية والاقتصادية والصناعية) عبر المؤسسات المختلفة (الأسرة، المسجد والمدرسة والإعلام والمراكز الثقافية ومؤسسات المجتمع المدني) فالفرد يتلقى التحضر صغيراً وينشأ عليه حتى يصبح يمارس التحضر في شؤونها لمختلفة، ويحمل من ثم هم التفكير في تحضر مجتمعه ويستوعب كيفيا تتجاوز التخلف بأشكاله المختلفة.

❖ **علاقة التربية بالإخفاق الحضاري ودور مخابر الاستعمار العالمي:** يرى القرضاوي (1971) أن التربية بالحضارة ترتبط ارتباطاً عميقاً ولا يمكن فهم مخرجات التربية إلا بإدراك علاقتها بالحضارة "فأهدافنا السياسية الكبرى في العالم العربي لم تتحقق ولم يقترب منها، بل زدنا عنها بعدًا وأمل الوحدة ضَعُف نتيجة للخلاف العقائدي بين المحافظين من دعاة اليمين والثوريين من دعاة اليسار وقضية فلسطين لم تحل ولم تقترب من الحلّ، وفشلت الثورة اليسارية العربية في سنة 1967 كما فشلت من قبلها الليبرالية اليمينية العربية في سنة 1948، وقضية الحرية السياسية في العالم العربي في أزمة آخذة بالخناق سواء في البلاد التي تتخذ شكل النّظام الديمقراطي الدستوري، والبلاد التي تتخذ النظام الاشتراكي الثوري إلى جانب الرخاء الاقتصادي الذي لم يتمّ على النّحو الذي كان مرجوًا منها والأمراض الأخلاقية الأخرى، وأضاف قشقوش (1999) بدوره أن مسارات التنمية في الوطن الإسلامي" التي أصبحت مشكلة مصير حياتية تستنفد قدرًا كبيرًا من اهتمامها، وفي سعيها لعبور الهوية القائمة ما بين واقع التخلف الذي ورثته من عهود التبعية والاستعمار وبين الصورة الأفضل التي تتطلع لأن تكون عليها الحياة في مجتمعاتها .

أوضح خفاجي (2009) أن هذه الأوضاع لم تغب عن مخابر الاستعمار العالمي الذي تحوّلت قيادته من المراكز الأوربية إلى المراكز الأمريكية مثل " مؤسسة التراث Heritage Foundation، مركز الدراسات الاستراتيجية والدولية Centrel for Strategicand

International، ومعهد واشنطن لسياسات الشرق الأدنى Washington Instute for NearEast Policy وغيرها الذي بدأ يراقب الأوضاع التربوية في العالم العربي، ويفحص المقررات والبرامج المدرسية المختلفة، وتلك الصلات والروابط التي يمكن أن يجدها مع الإرهاب الدولي المنتشر في العالم.

أشار رضا (2006) أنه بتزايد حدة العنف في العالم وخصوصا أحداث تحطيم البرجين الشهيرين في أمريكا 11سبتمبر 2001 تغيّرت خريطة العلاقات وتم تشويه الثقافة العربية بعامة والتربية العربية المعاصرة على وجه التحديد، مستغلّين كون أغلبية الذين شاركوا في أحداث أيلول – سبتمبر من مواطني المملكة العربية وأنهم متعلمون في النظام التعليمي السعودي ولذا يجب إعادة توجيه التربية القائمة وفق مواصفات أمريكية " وفي الثاني من شباط – فبراير 2002 نشرت جريدة واشنطن بوست دراسة تشير إلى أن السعودية هي موطن 15 من ال 19 من خاطفي الطائرات في أحداث 11 أيلول وعدت التربية السعودية مسؤولة عن سلوكهم العدواني في تلك الأحداث، ووفقًا لما ذكرته الدراسة فإن قادة المملكة أمروا بمراجعة جميع الكتب المدرسية بحثًا عن دليل على التطرف، وقد ظهر أن 5 بالمئة من مفردات الكتب المدرسية يجب إلغاؤه، ولكن أي عملية تغيير جذرية لم تقع في الكتب المدرسية السعودية وانتهت الدراسة إلى تحميل الكتب المدرسية السعودية وبخاصة كتب التربية الدينية جزءًا من أحداث أيلول .

❖ **التربية الحضارية بين الداخل والخارج:** شرع العقل الأمريكي الإستشراقي في صناعة فكرة الصدام بين الحضارات (صمويل هنجنتن "صدام الحضارات "، وفرانسيس فوكويوما "نهاية التاريخ) (أورد في: المخزنجي، 2007) الأولى تتموضع في سكة التفكير الليبرالي والسلامي الذي يمثّل الفكر الكانطي – نسبة إلى كانط– بوصلته العامة، والثانية تتموضع في سكّة التفكير الصدامي الهوبزي – نسبة إلى توماس هوبز فيلسوف علم السياسة الإنجليزية في القرن السابع عشر (أورد في: الحروب، 2008) وتقديم دراسات مشوهة عن تعاليم الإسلام كخدمة استعمارية جديدة للساسة الأمريكيين، "ف فرانكلين جراهام مثلا رئيس أكبر الكنائس الإنجيلية ومستشار الرئيس بوش الشخصي يصف الإسلام بأنه دين شيطاني شرير ومنحط ويدعو للعنف " (أورد في: القوسي، 2008) .

ويقول Boll Jonson المؤرخ البريطاني الشهير " الإسلام عقيدة عنف وأن أهله لا يتقبلون أي نوع من الحوار الإيجابي البناء وأن القرآن هو الذي يمدّ المسلم ينب الرغبة فيقتل الأبرياء " (أورد في: القوسي، 2008) مما يجعلهم وفق ما ذكر في جريدة الشروق (2007) يستمرون في تكوين العلاقة الاستعمارية مع الشرق بدل العلاقة الحضارية التبادلية، ويحرصوا على تغيير المناهج الدراسة في المنطقة الإسلامية لتستجيب لذات الأهداف الاستراتيجية التي خطّها العقل الأمريكي من قبل ويرسّخوا " تقليد المناهج الغربية بدل اعتماد استراتيجية مدروسة تعقد المقررات الدراسية التي جعلت من التلميذ متلقي لكم هائل من المعلومات دون الاستفادة منها بشكل منهجي يعتمد على المناقشة والابداع .

وظهرت أدبيات جديدة تسوغ التدخل الخارجي في كل مجالات الحياة في المنطقة الإسلامية كنمط إصلاحي ضروري، ينمط الحياة الفردية والجماعية معًا " الأمر الذي يعني أنّ الكلام على الإصلاح السياسي في العالم العربي في السنوات الأخيرة جاء بضغط خارجي لا برغبة داخلية، ذلك أن الأنظمة العربية جميعًا ومن دون تمييز تتصف بالخوف من التغيير " حينئذ شعر الإنسان حسب الخوري (2009) في الوطن الإسلامي أن وجوده كلية مرهون بالنفوذ الأمريكي، وحدث الإنقسام بشأن العلاقة مع الإصلاح الديمقراطي الذي تبشر به أمريكا في المجتمع المسلم، فقطاع غير واسع (المعارضة في الخارج الموالية للأنظمة في الغرب وكذا المعارضة الداخلية المرتهنة) يرى بأن التدخل الأمريكي ضروري لإصلاح وإحياء الديمقراطية في الجغرافيا السياسية العربية " سيما مع تدفق المعونات الأجنبية وصندوق النقد الدولي والبنك الدولي لنشر الحرية، ومكافأة الدول التي تتجه نحو الديمقراطية، باعتبار أن غياب الديمقراطية يولّد العنف والإرهاب " .

يرى ابراهيم (2008) أن قطاع آخر يصرّ على فهم التدخل على أنه سلوك إستعماري جديد للوطن الإسلامي غلّف بغطاء الإصلاح والديمقراطية – النموذج العراقي –" ما يؤكد أهمية الحكم على توجّه واشنطن بشأن الديمقراطية في المنطقة من خلال الممارسة العملية وليس من خلال الخطاب السياسي والإعلامي الذي قد يكون مجرد جزء من حملة علاقات عامة غايتها تحسين الصورة والبحث عن مخارج للتعامل مع المأزق الأمريكي في العراق " .

وبحدوث هذا الانقسام في الرؤية يعتبر علي (1425) أن تعرّض المشروع الحضاري للنقد كذلك كحملة تشكيكية يعدها المخبر الأمريكي ويقذفها إلى جنبات المجتمع للتنفيذ والتبني في المنطقة الإسلامية على حساب الاختيار النابع من المرجعية الحضارية " وبدأ المعيار التاريخي والتقويم الحضاري يتوحد مع وعي الثقافة السائدة وقبلت نظم الاستقلال الوطني وحركاته في تلك الفترة وبغير تحفظ كبير أن يتحول وعينا من موقف المواجهة في التعامل مع مستعمرينا السابقين إلى موقف التتالي والتعاقب معهم وساد منظور للعالم بحسبان أن مجتمعاته جميعًا تقف على سلم صعود واحد، وأنها لا تختلف إلا في درجة الارتقاء على هذا السلم.

أصبح المطمع الأول للطبقة السياسية القائدة في المنطقة العربية الإسلامية إرضاء الغالب عالميًا والدوران إيجابيًا مع تعليماته الدولية سيما – الثقافية والاقتصادية والتربوية–لتأمن مغبة الملاحقة العسكرية والأمنية وتنسجم مع مقررات الواقع الدولي، لئلا تصبح نشازًا في المعتقد السياسي الدولي وتفلت من التكيف المطلوب مثلما حدث مع النظام الليبي " الذي كافأته واشنطن، ليس لأنه أصبح ديمقراطيًا ولكن لأنه أصبح نموذجًا للامتثال والتكيّف مع المصالح الأمريكية ". وهذا المطمح القيادي في المجتمع العربي الإسلامي غير المطمح عند الشعوب التي بالرغم من تأثرها الشديد بهذه التقلّبات القيمية والسياسية، لا تزال غير قانعة بالنموذج الحضاري الأمريكي، كونه صورة من صور التدافع الحضاري ما يلبث وأن تنتهي دورته التاريخية، وينشأ نموذج حضاري جديد يمكن أن يكون النموذج الحضاري الإسلامي مثلما تبشّر به النّبوءة النبوية.

" روى مسلم وغيره عن ثوبان و شداد بن أوس رضي الله عنهما مرفوعًا: "إِنَّ اللَّهَ زَوَى لي الَارْضَ فَرَأَيْتُ مَشَارِقَهَا وَمَغَارِبَهَا وَإِنَّ أُمَّتِي سَيَبْلُغُ مُلْكَهَا مَا زَوَى لِي مِنْهَا "وروى ابن حبان في صحيحه " لَيَبْلُغَنَّ هَذَا الأمْرَ مَا بَلَغَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَلَا يَتْرُكُ اللَّهُ بَيْتَ مَدَرٍ وَلَا وَبَرٍ الَّا أَدْخَلَهُ اللهُ هَذَا الدِّين بِعِزِّ عَزِيزٍ أَوْ بِذُلِّ ذَلِيلٍ عِزًا يُعِزُّ اللهُ بِهِ الإِسْلاَمَ وَ ذُلًّا يُذِلُّ اللهُ بِهِ الكُفْرَ " ابن حبان في صحيحه : 1631– 1632)" (أورد في: البستي، 1988) (وفي صحيح مسلم " لاَ تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَعُودَ أَرْضُ العَرَبِ مُرُوجًا وَأَنْهَارًا " رواه مسلم : 8 – 171 وأبو داود والترمذي وابن ماجه و أحمد (أورد في: النيسابوري، 1991) .

وتؤكده علميًا الدراسات الإستشراقية، يقول محمد أسد " إن الغربيين لايرون في تعاليم الإسلام إنكارًا للكثير من معتقداتهم الدينية فحسب، ولكنهم ينظرون إليه على أنه خطر سياسي أيضًا .. ولكي يدرأ الغربيون هذا الخطر المحتمل فإنهم يبذلون كل ما في وسعهم للحيلولة دون بعث القوة السياسية للمسلمين ومنع الإسلام من احتلال المكانة التي كان يحتلها في السابق في حياة المسلمين الاجتماعية والثقافية " (أورد في: القوسي، 2008) ولذا يجد المطمح الشعبي نفسه بحاجة إلى الحفاظ على ذاتيته الحضارية مثلما يحافظ عليها إنسان النموذج الغالب، المستند هو الآخر إلى تربية عميقة نشأ عليها.

غير أن المطمح الشعبي وفق بن نبي (1990) تتخلله نزعات متباينة واستعدادات متناثرة في مجتمع فقد توازنه القديم ويبحث عن توازن جديد ، خاصة في وعي الطبقة الشبابية، " هنا كنظرة ذلك الشاب الذي يتغذى بثقافة ضيقة خانقة بضيقها، فهو يرى أن سعادة البشر قد بدأت مع القرن التاسع عشر بانتشار ما يسمى الأفكار التحررية، وهناك من يشكو يرى المدنية معركة إقتصادية، وإن تخليص الشعب لني تأتى إلا بحيلة اقتصادية يحتالها المحتكرون أو بكارثة مالية في السوق السوداء، وهنا كمن ينظر النظرة المملوءة بالحقد المطلية بالرياء، فيرى المدنية في الأعراس الانتخابية والمظاهرات العمومية، وهناك نظرة الشاب السلفي المملوءة بذكريات الماضي، فهو يظن أنه يغيّر نظام المجتمع بتطهير لغته وتطبيق النحو والصرف، وثمة المقتنع بحاله الذي لا يرى شيئًا ولا يفهم شيئًا ولا يبحث عن شيء، فهو قانع بدفع ضريبته من غير أن يتساءل عن موجبها الإجتماعي".

هذا التباين في الرؤيا يثبت إشكالية التربية الحضارية في المجتمع المسلم، بمعنى أن إدراكات الأفراد لماهية السلوك المناسب في الحياة الاجتماعية لا تزال غير واضحة، ويعتريها كثير من الغموض وينتج بذلك ممارسات غير حضارية –كالعنف التعصب، الصدام، التسلط، التبعية والتقليد–لا تنسجم ومضامين المشروع الحضاري، المنطلق من ضوابط ومدخلات التربية الاسلامية، ويبرز الإشكال خصوصًا عند الفئة الشبابية من المجتمع.

فالشباب عمدة التحول الحضاري يبادر في مرحلة أولى إلى تلقي الفكرة الحضارية واستيعابها في المحاضن التربوية (الأسرة، المسجد، المدرسة، الجمعيات ..) وفي مرحلة ثانية يسعى لبثها في المجتمع وجعلها محور اهتمام اجتماعي يعمل له الأفراد جميعًا ويتلقف المثيرات المختلفة

التي تتفاعل مع فكرتهم من التيارات والاختيارات الإيديولوجية–المنافسة أو المشاركة – وتتأسس استجابات فكرية وسلوكية لتلك العلاقات التفاعلية مع الأطراف الأخرى طالما هي طموح سياسي واجتماعي يتلاقى ويتقاطع مع الطموحات الأخرى.

ويتأثر التفاعل تبعًا للحوادث التاريخية والاجتماعية التي يمر بها المجتمع الإسلامي المعاصر، فحدوث الاحتلال الأمريكي للعراق والمأساة الوطنية في الجزائر، ومشكلة الانقسام الطائفي بالسودان والعلاقة الاستعمارية بين المغرب والصحراء الغربية، والصراع الحدودي بين الخليج وإيران وغيرهما، فهذه الحوادث تمثل إخفاقات في ذهن الشباب المسلم تجعله يهرب داخليًا من التفكير في الشأن الحضاري لأمته، وينزل إلى الشأن المادي الاجتماعي لذاته.

❖ **خاتمة:** حدَث التحضر في مجتمعنا أول مرة مع بزوغ فجر الإسلام وتكوين المجتمع المسلم من قبل النبي المربي صلى الله عليه وسلم الذي بذل جهدًا تربويًا كبيرًا في مكة دام ثلاثة عشر عاماً، عمل فيها باستمرار على ترسيخ العقيدة الجديدة في قلوب أصحابه عليهم الرضوان، وإخراج الجاهلية الموروثة عن الآباء والأسلاف لمواجهة الدين، واستمر العمل التربوي في المدينة المنورة حتى تمكن النبي صلى الله عليه وسلم من إخراج الإنسان المتحضر الذي عمل على إنشاء الدولة المسلمة والحضارة الإسلامية بميزاتها وملامحها وخصائصها المتميزة عن باقي الحضارات المعاصرة لها.

واستمرت حركة التحضر ببين تقدم وتأخر وقوة وضعف حسب قوة الدولة وامتدادها وتأثيرها إلى غاية سقوط الخلافة الإسلامية وتفكك الدول العربية والإسلامية وتمكن الاستعمار الغربي من غزوها والاستيلاء عليها وتكريس التخلف الحضاري في كل شؤونها وردها إلى دول تابعة فاقدة السيادة الحضارية، مما جعل المصلحون و العلماء والمقاومون يبشرون بضرورة دفع الغازي و رد مظالمه ويقومون بكفاح مرير لإجباره على الخروج من الديار واستعادة حرية الوطن وكرامة المواطنين، وبعودة الاستقلال وإبطال الاحتلال، بقي سؤال الاستقلال التام قائماً وكيفيا تتجاوز التخلف و إنتاج التحضر..

وبديهي أن معاودة التحضر ينطلق من التربية التي تنطلق من الأسرة والمسجد والمدرسة وكافة مؤسسات التنشئة الاجتماعية، إذ التحضر اختيار أخلاقي واجتماعي وثقافي ينشأ عليه الفرد وينمو عليه، ويكتسب أفكاره وسلوكه واتجاهاته، ليعيد إنتاجه في المدرسة والمعمل وفي

علاقاته الفردية والاجتماعية والسياسية، فيه تم لتفوق مجتمعه في مجالات العلوم والمعارف وتطوير فكر المنافسة مع القوى العالمية التي تهيمن بإنتاجها وثقافتها على العالم وتكره القوى الضعيفة على اختيار توجهاتها وتتحكم في قراراتها المختلفة، وتمنعها من تحقيق التحضر المطلوب وإنجاز الكفاية الحضارية في مجالات حياتها المختلفة، مما يجعل الرهان على التربية الحضارية كبير ويحتاج إلى جهود منظمة للوصول بالتربية إلى الفعل الحضاري المطلوب.

❖ قائمة المراجع:

1. دراج فيصل (2009). قراءة في كتاب وراء الواجهة : الاصلاح السياسي في العالم العربي. المستقبل العربي ، 367- 254.
2. جريدة الشروق (2007). المختصون يكشفون العولمة تهدد المدرسة الجزائرية وتعقد التعليم. 26/10/2007، العد 1455.
3. ابراهيم، حسين توفيق ابراهيم (2008). العوامل الخارجية وتأثيراتها في التطور الديمقراطي في الوطن العربي . المستقبل العربي، 349 ، 20-37.
4. ابن خلدون (2000). مقدمة ابن خلدون. بيروت : دار ومكتبة الهلال.
5. ابن منظور ،محمد بن مكرم بن علي أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الافريقي (1996). لسان العرب . بيروت: دار صادر.
6. أبو شوك، أحمد ابراهيم (2010). الدولة الدينية الإسلامية في النظرية والتطبيق . التجديد، 14(27) 213-231.
7. الأهدل، هاشم بن علي أحمد (2007). أصول التربية الحضارية في الإسلام. الرياض –السعودية : جامعة الملك محمد بن سعود الإسلامية.
8. الحروب، خالد محمد (2008). في الفكر السياسي الامريكي الجديد " عودة التاريخ " و" رابطة الديمقراطيات" . المستقبل العربي، 31(357)، 21-38.
9. الخوري, كابي (2009). قراءة في كتاب أمريكا في عالم يتغير لعاطف الغمري، ضمن كتب وقراءات. المستقبل العربي، 367، ص ص.367-387
10. القرضاوي، يوسف (1971). الحلول المستوردة وكيف جنت على أمتنا. مصر : مؤسسة الرسالة.
11. القوسي، مفرح بن سليمان بن عبد الله (2008). العلاقة الفكرية الثقافية بين العالمين الاسلامي والغربي في العصر الحاضر الحواجز والسدود. دعوة الحق.
12. المخزنجي، أحمد. (2007). الحضارة الاسلامية وسطيتها وموقفها من الآخر. دعوة الحق.
13. النيسابوري، أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري(1991). صحيح مسلم . بيروت –لبنان: دار الكتب العلمية.
14. بن نبي، مالك (1990). شروط النهضة. دمشق : دار الفكر.
15. بن نبي، مالك (2000). مشكلة الثقافة . دمشق –سوريا : دار الفكر.
16. جودت، سعيد (1984). حتى يغيروا ما بأنفسهم. دمشق : مطبعة زيد بن ثابت الانصاري.
17. حسان، صبحي . (2007). النظام التربوي الاستعماري في الجزائر. الجزائر: دار الامة.
18. حسان، عبد الله حسان (2016). التربية الحضارية عند مالك بن نبي وتطبيقاته االتربوية. المسلم المعاصر.
19. خفاجي، باسم (2009). أثر المراكز الفكرية في السياسة الخارجية الأمريكية. المستقبل العربي، 32(369)، 38-48.
20. رضا، محمد جواد (2006). الإصلاح التربوي العربي. بيروت –لبنان : مركز دراسات الوحدة العربية.
21. علي، سعيد اسماعيل (1425). الخطاب التربوي الاسلامي . كتاب الامة.
22. علي، سعيد اسماعيل (1425). الخطاب التربوي الاسلامي. قطر : مطبعة الأوقاف.
23. قشقوش، ابراهيم زكي (1999). وجهة نظر حول سيكولوجية الانتاج التنموية في مجتمعات الخليج العربية. مجلة التربية، قطر، 34، ص ص.34 - 67
24. وطفة، علي أسعد (2001). التربية العربية بين حداثتين : بحث في إشكالية الحداثة التربوية، . شؤون عربية، 107، 173-197.